زعماء الحركة القومية

السيد محمد كريم

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

— ١ —

يعتبر السيد محمد كريم أول زعيم من زعماء الحركة القومية .. ظهر فى مصر قبل أن يظهر فيها سعد زغلول ومصطفى كامل وأحمد عرابى .. فكانت حركته بذلك أول صفحة من صفحات الجهاد القوى فى تاريخ مصر الحديث

ولقد كان السيد محمد كريم شخصية فذة ، وزعيما حقا من زعماء الوطنية المصرية .. فاستطاع بمفرده أن يبث الشعور القوى فى نفوس أهالى الإسكندرية .. وجعلهم يواجهون جيوش الثورة الفرنسية فى سنة ١٧٩٨ م

تلك الجيوش التى كانت لا تزال فى عنفوان قوتها ومجدها .. والتى كان يقودها نابليون بونابرت . . أعظم شخصية حربية ظهرت فى أوروبا خلال القرن الثامن عشر !

وبعد أن احتل الفرنسيون أرض مصر ، لم يتوقف السيد محمد كريم عن الكفاح لحظة واحدة ، ولم يخضع لمشيئة نابليون ، ولم يطأطئ رأسه كما فعل كثيرون غيره . . بل أخذ يثير روح الكراهية فى نفوس الأهالى ضد الحاكم الجديد . . الذى لم يرغب من نزوله بمصر إلا أن يستبدل حكما بحكم .. واحتلالا باحتلال ... وظل السيد يوالى نشاطه واتصالاته بالبلاد التى تمر بها الجيوش الفرنسية .. فى طريقها إلى مصر .. لتمنع الماء عن رجال الحملة ... ولتقابلهم بكل ما استطاعت من أنواع المقاومة

ولما ضاقت القيادة الفرنسية بجهود السيد محمد كريم . . اتهمته بخيانته للجمهورية الفرنسية ، وإثارته العصيان فى نفوس الأهالى .. وحكمت عليه بالإعدام رميا بالرصاص ... وبذلك أصبح بجانب زعامته للشعب ، أول شهيد من شهداء الحرية .. فى عهد الحملة الفرنسية

* * *

نشأ السيد محمد كريم فى مدينة الإسكندرية نشأة عادية .. كغيره من شبان الثغر . . ولم تكن للاسكندرية قيمة كبيرة فى ذلك الحين . . بعد أن تحول عنها طريق التجارة القديم ، ففقدت بذلك مركزها التجارى العظيم

وكان جمرك الإسكندرية فى يد مراد بك . . يولى عليه من يشاء .. ويعزل من يشاء .. نظير إيراد معلوم

فلما كبر السيد محمد كريم ، ونما عوده ، اشتغل قبانيا .. وكان مشهورا بالصدق والأمانة ، والنشاط وخفة الحركة .. ولذلك سرعان ما عرف اسمه .. وذاع صيته .. حتى سمع به مراد بك ..

مصدر السلطات :

تذهب الدساتير الحديثة جميعا إلى أن الشعب مصدر السلطات وهذه نظرية مقررة ، ولكن أهم من تقريرها أن تكون نافذة وأن يحرص الشعب فعلا على حقوقه فلا يتركها للمضللين والمفسدين

وهذه النظرية ليست حديثة كما يعتقد بل إنها قديمة ، وهى كذلك ليست نظرية مقررة فى الغرب فقط وإنما هى نظرية مقررة فى الشرق منذ جاء الإسلام

واستمع إلى قول أبى بكر حين تولى الخلافة « أيها الناس : قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم »

وهكذا قامت الحكومة الإسلامية الأولى على أساس اختيار الشعب وحددت سلطة ولى الأمر ، فإذا عصا الله وجب عزله ، وكان خوف الخلفاء من الله أكبر عاصم لهم من الزلل

وفق الله قادة العصر الجديد إلى ما فيه خير الشعب وسعادته ، ورعى الله كنانته وحفظ لشعبها سيادته وبارك لها فى جيشها الباسل

أبو الفتوح عطيفه

حاكم مصر .. وزعيم طائفة من أكبر طوائف المماليك ... فعينه مديراً للجمارك .. ثم حاكماً عاماً لمدينة الإسكندرية .. وقد استطاع السيد محمد كريم — بعد أن تسلم مهام منصبه الجديد — أن يحكم البلاد بحكمة وحزم ... وأن يعامل الأهالى معاملة طيبة .. ولذلك احترمه الناس وأحبوه

* * *

وفى شهر يونيه سنة ١٧٩٨ م . . وصلت الأخبار إلى أهالى الإسكندرية . . بأن حملة أوربية تعتزم احتلال مصر

وكان المصريون فى ذلك الوقت . . لا يزالون يحملون فى أنفسهم تلك العقيدة المتوارثة عن عظمة السلطان .. وقوة المسلمين

ولذلك عقدوا العزم على محاربة الجيش الأجنبي ، والوقوف فى وجهه .. مهما بلغت قوته

ومن سوء الحظ أن وصل الأسطول الإنجليزى الذى كان يتعقب الفرنسيين — إلى مياه الإسكندرية قبل وصول الحملة بأيام . . وحاول نلسن قائد الأسطول البقاء فى مياه الإسكندرية فى انتظار الحملة الفرنسية .. وعرض على السيد محمد كريم أن يسمح بإمدادهم بالماء والمؤونة اللازمة لقاماهم .. لكن الحاكم رفض طلبه . قال الأستاذ عبد الرحمن الرافعى : (١)

« ولعل السبب فى الرفض أنه أساء الظن فى مقاصد الأميرال نلسن لأن الإشاعات التى كان الناس يخوضون فيها ذلك الحين ، تنبئ أن « الإفرنج » يعتزمون احتلال مصر . . وكلمة « إفرنج » كانت تتناول الفرنسيين والأوربيين على السواء . . فخشى أن يكون طلب الأميرال نلسن خدعة لها صلة بالحملة المقبلة »

ولم يكتف السيد محمد كريم بالرفض ، وإنما أعطاهم مهلة قصيرة لكى يبرحوا المياه المصرية ، وإلا أطلق عليهم النيران

وعبثاً حاول الإنجليز أن يفهموه خطر الحمله القادمة . . فقد وجدوا منه إصراراً وعناداً شديدين

ولم ير « نلسن » أن يضيع وقته فى مناقشات لا فائدة منها . ولذلك قرر الانسحاب عن الشواطئ المصرية

يقول الجبرتى : (٢)

« وفى يوم الخميس الثامن شهر المحرم عام ١٢١٣ هـ ، الموافق ١٧٩٨ م .. ظهرت فى ميناء الإسكندرية عشرة مراكب حربية .. وأرست بعيدا بحيث يراها أهل الثغر .. ولحق بها خمسة عشر مركبا أخرى .. وأرسلوا بعض الجنود إلى الشط فى قارب .. فاستقبلهم كبار البلد ، وعلى رأسهم السيد محمد كريم .. وسألوهم عن شأنهم . . فقالوا إنهم من الأسطول الإنجليزى حضروا للتفتيش عن مراكب الفرنسيين . . فقد علموا أنهم خرجوا فى جيش كبير إلى جهة لا يعلمونها .. فلا تقدرون على دفعهم .. فلم يقتنع السيد محمد والذين معه بصحة ما يقولون ، وقابلوهم بجفاء فقال لهم الإنجليز :

— سنقف بأسطولنا فى عرض البحر لنحافظ على ثغركم ولا نطالبكم إلا بالماء والزاد بالثمن الذى ترضونه .. فرفضوا طلبهم وقالوا :

« هذه بلاد السلطان وليس للفرنسيين ولا لغيرهم علينا سبيل .. فاذهبوا لشأنكم ... »

ولم يكد السيد محمد كريم يتخلص من الحملة الإنجليزية حتى أخذ يفكر فى الخطر الجديد الذى بدأ يلوح فى الأفق . . فالحملة الفرنسية التى وصلته أخبارها قد تأكد لديه قدومها ، بعد أن سمع حديث الأميرال نلسن . وعلم بنشاطه ، وأصبح من الواجب عليه أن يعد للأمر عدته ، وإلا سقطت الإسكندرية فى أيدى المحتلين الأجانب .. وكان عليه أن يسرع بالعمل قبل أن يضيع الوقت ، وتفوت الفرصة

فبادر بالاتصال بمراد بك ، وبالعرب المجاورين للثغر .. طالبا منهم المعونة . وأمر بتحصين أسوار المدينة .. كما طلب من الأهالى حمل السلاح .. استعدادا للكفاح القريب

وباتت الاسكندرية كلها تترقب قدوم الحملة الفرنسية .. حتى رأت وجه البحر وقد تغطى بالمراكب .. فعلمت حينئذ أن وقت الجهاد قد حان .. وأن ساعة الكفاح آتية لا ريب فيها

الكلام بقية

عبد الباسط محمد حسن

(١) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية جـ ١ ص ١٣٢

(٢) ابراهيم جلال : من يوميات الجبرتى . ص ٧٨